قراءة في عتبات الكتابة اللسانية التمهيدية

– كتاب خولة طالب الإبراهيمي (مبادئ في اللسانيات) أنموذجا–

Reading in introductory linguistic writing

- Khawla Taleb Al-Ibrahimi's book (Principles of Linguistics) as a model

إلياس الوناس–Lounas.ilyas@univ-oeb.dz

جامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي

تاريخ الاستلام: 2020/12/01 تاريخ القبول:2020/12/05 تاريخ النشر: 2021/01/01

ملخص:

إن الناظر في الإنتاج اللساني العربي ليرى رأي العين مدى وعي اللسانيين العرب باللسانيات منذ ظهور البنوية مع سوسير تنظيرا وتطبيقا، بيد أن واقع اللسانيات في الأوساط الأكاديمية عموما، ولدى غير المتخصصين من القراء خصوصا يلحظ أن الهوة تزداد اتساعا بين المختصين الذين أصبح لهم باع بالمعرفة اللسانية، وبين من هم دون ذلك ممن لم يمتلكوا زمام أسس لسانيات سوسير بعد.

أمام هذا الواقع اللساني المذكور، كان لزاما على أهل الاختصاص أن يسعوا في تبسيط المادة اللسانية، ومحاولة تمكين القارئ العادي (غير المتخصص) من مادتها، وعلى إثر ذلك ظهر مصطلح "اللسانيات التمهيدية" الذي يشير إلى الجهود التي قصد أصحابها إلى التيسير وبسط المفاهيم كما يتضح من عناوين مؤلفاتهم، على غرار كتاب خولة طالب الإبراهيمي "مبادئ في اللسانيات" الذي نقف معه وقفة نسعى من خلالها إلى رصد مظاهر الكتابة اللسانية التمهيدية، ومدى قدرة الكاتبة على تجسيدها في كتابها المذكور.

كلمات مفتاحية: اللسانيات التمهيدية، خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات.

Abstract:

The observer in Arabic linguistic production would see the gap that exists between specialized linguists who have acquired a command of linguistic knowledge, and those without that who have not yet possessed the foundations of Saussure's linguistics.

Faced with this aforementioned linguistic reality, it was necessary for specialists to strive to empower the ordinary reader with linguistics, and as a consequence the term “introductory linguistics” appeared, which refers to the efforts whose authors intended to facilitate as is evident from the titles of their books, similar to Khawla Talib’s book Al-Ibrahimi "Principles in Linguistics" through which we seek to

monitor the aspects of introductory linguistic writing, and the extent of the writer's ability to embody them in her aforementioned book.. introductory linguistics: Principles in Linguistics; Khawla Talib Al-Ibrahimi;.

مقدمة:

إن المتتبع لحركة الدرس اللساني الحديث يرى بوضوح ذلك التحول الجذري الذي حصل مع مطلع القرن العشرين، بتحول الدراسات اللغوية من المنهج التاريخي الذي كان سائدا إلى الدرس المقارن مع اكتشاف السنسكريتية ابتداءً، ثم تحوله بعد ذلك إلى دراسة الظاهرة اللغوية دراسة وصفية بعيدة عن التفسير والتعليل، حصل كل ذلك يوم أن ذاع صيت أفكار ومحاضرات العالم اللساني السويسري فيرديناند دي سوسير الذي نادى بفكر لغوي جديد.

وفي ظل الحركة العلمية والبعثات الطلابية وفي إطار عنصر المثاقفة، استفاد العرب من الجهود السوسيرية البنوية ورحبوا بالميزة العلمية التي طبعت هذا الفكر وحاولوا أن يتمثلوه نظريا وتطبيقيا، فكان أن تبناها بعض الدارسين أمثال تمام حسان على وجه الخصوص الذي حاول تطبيق تلك الأفكار والمبادئ على الدراسات العربية، وكان الأنموذج المصري تحديدا يمثل صورة واضحة لنشأة العلاقة بين الباحث العربي واللسانيات الغربية الحديثة، حيث برز التأثر بهذا الفكر في كتابات رفعة الطهطاوي، الذي دعا إلى إنشاء مجمع للغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي، كما ظهر أيضا في كتابي جورجي زيدان " الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" و" اللغة كائن حي" حيث بدا فيهما متأثرا بالنزعة الداروينية التي سادت آنذاك،

فكانت لاحتكاك اللسانين العرب المحدثين بالنشاط اللساني الغربي الحديث فعالية في دفع عجلة الدرس اللغوي العربي الذي كان يعيش حالة ركودا مميتا، فحاول كبار اللغويين العرب ممن تمثل هذا العلم أن ينقله إلى من هو دون ذلك من الطلاب من خلال عامل الترجمة.

لقد وجد اللسانيون العرب المحدثون أنفسهم مضطرين إلى تلك المعارف اللسانية الغربية إلى القارئ العربي، وتمكينه من الإطلاع على أحدث المستجدات في هذا المجال باللغة العربية ويطلع على الإنتاج اللغوي الجديد الذي يختلف في جوهره عما عهده في الدراسات اللغوية القديمة، حتى يكون ذلك إرهاص يهيئ القارئ العربي من خلاله لتقبل التحولات التي ستطرأ لا محالة بعد ذلك على مناهج وطرق دراسة اللغة العربية بفعل تأثرها بالمناهج الجديدة[1].

وقد اختار هؤلاء ومن نحى نحوهم عناوين تعبر عن طبيعة ونمط دراستهم الذي يسعى إلى تعريب النظرية اللسانية الغربية وتبسيطها، ومن أمثلة ذلك: كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لإبراهيم السعران، وعلم اللغة لعلي عبد الوافي، والألسنية لميشال زكريا...

وقد عرف هذا النمط من الكتابة بالكتابة اللسانية التمهيدية، وسوف نتخذ كتاب خولة طالب الإبراهيمي الموسوم ب" مبادئ في اللسانيات " نمودجا لدراستنا محاولين الإجابة عن عدة إشكاليات لعل أبرزها: ماهي الكتابة اللسانية التمهيدية؟ وما أهدافها؟ وما مدى نجاح خولة طالب الإبراهيمي في تمثلها؟ وما هي النقائص التي يمكن استدراكها عليها؟

وسنحاول في هذه الورقة البحثية المقتضبة أن نكشف مكامن اللسانيات التمهيدية التي يبدو من خلال عنوان الكتاب أنها موجودة في ثناياه، كما سنتطرق إلى التقنيات التي اعتمدتها الكاتبة لجذب القراء، ولعلنا نصل في الأخير إلى معرفة مدى نجاح الكاتبة في بسط الدرس اللساني، ومدى صحة اعتماد كتابها في معرفة أساسيات الدرس اللساني.

1. تعريف الكتابة اللسانية التمهيدية:

يرى حافظ إسماعيل علوي أنه يمكن تعريف الكتابة اللسانية التمهيدية أو التيسيرية حسبه على أنها طريقة في التأليف لا يمكن لأي علم أن يذيع وينتشر بدونها، لذلك فمن الطبيعي أن يشكل هذا النوع من التأليف أحد الاهتمامات الأساسية لنشر العلوم وتقريبها إلى القراء[2].

فهي إذن نمط تأليفي في علم اللسان يقصد إلى تبسيط المعرفة اللسانية بالنسبة للطالب المبتدئ لأنه لا يمتلك رصيدا معرفيا كافيا، يكون ذلك تمهيدا له ليستسيغ المعرفة اللسانية من جهة، ويتجهز لقبول غيرها من جهة أخرى.

2. موضوع الكتابة اللسانية التمهيدية:

يتشكل موضوع الكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطية مما تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة. وتعتمد هذه الكتابة المنهج التعليمي القائم على التوضيح والتبيان والشرح وما يتطلبه كل ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة والرسوم البيانية. وتروم هذه الكتابة تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي سواء كان يلج عالم التخصص أو قارئا ينشد التسلح باللسانيات للاستفادة منها في مجالات فكرية أخرى من فكر عربي أو نقد أدبي أو تاريخ أو ما شابه ذلك[3].

إن موضوع اللسانيات هو دراسة اللغة التي تدور حولها مباحث علم اللغة وعلومها وتتخذها موضوعا لدراساتها دراسة علمية فهي ليست لغة بعينها، وإنما هي اللغة التي تتمثل في كل الكلام الإنساني، فالأصول والخصائص الجوهرية التي تجمع بين سائر اللغات في كل صورها هي موضوعات علم اللغة ... وليست لغة بعينها بل اللغة من حيث هي وظيفة إنسانية عامة[4].

3. أهداف الكتابة اللسانية التمهيدية:

أ. تبسيط المعارف اللسانية:

وهو أهم وأبرز أهداف هذا النمط الكتابي وأسمى غاياته حيث تلتزم الكتابة اللسانية التمهيدية بالجانب التعليمي التبسيطي، و بإعطاء القارئ المبتدئ المفاتيح التي تمكنه من حل كل ما استغلق عليه من قضايا اللسانيات، و تمكينه من مبادئها و توجهاتها ، و هذا ما تنطق به عناوينها و خطابها المقدماتي كما تقدم، غير أنه تجدر بنا الإشارة إلى أن ما يعبر عنه متن بعض هذه الكتابات يبقى في غالبيته ، مغايرا بل و مناقضا لتلك الأهداف المعلنة ، و هذا يخلق فجوة بين ما يحفز المتلقي على القراءة و بين ما يقرأه فعلا ، مما

يشوش على أفق انتظاره و يخيبه ؛ حيث إن أغلب الكتب اللسانية التمهيدية لم تحرص على ضرورة انسجام عناوينها و خطابها المقدماتي مع متونها ، فجاءت أغلب المتون غير مشاكلة للمقدمات ، التي تجعل من كل ما تزخر به من آراء و أفكار و مشاريع نظرية وهمًا. فيلفي القارئ نفسه غير مشدود إلى ما يقرأ وهذا يخيب أفق انتظاره، ويوجه القراءة نحو أهداف غير معلنة فيتحول ذلك إلى إشكالات للتلقي، وقد جرت العادة أن يشير أصحاب الكتب في مقدمات كتبهم إلى هذه الغاية المنشودة وهي تبسيط المعارف اللسانية، حيث يقول محمود السعران في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: " ولذلك مهدت لكتابي هذا بمقدمة طويلة شيئا ما تهيئة لذهن القارئ الشادي لتلقي أصول هذا العلم بأيسر السبل وأدنى مجهود، ولقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التبسيط، مع حرصي على الدقة و السلامة، حتى يستقل القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه ويدارسه، وينتقل منه آمنا إلى مطالعة أصول هذا العلم منقولة إلى العربية أو مكتوبة بلغاتها"[5].

ب . إثراء المكتبة العربية اللسانية:

والحق أننا إذا نظرنا إلى الجدول المرفق فإننا نرى أن المكتبة العربية في مجال اللسانية قد قطعات شوطا نحو الثراء المنشود، لكن السؤال المطروح هو: هل حقق هذه الكتب الغايات التي قصد إليها مؤلفوها؟

العنوان	المؤلف
🕮 علم اللغة	✍علي عبد الواحد وافي
🕮 علم اللغة مقدمة للقارئ العربي	✍ محمود السعران
🕮 أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة	✍ نايف خرما
🕮 علم اللغة العام	✍توفيق محمد شاهين
🕮 في علم اللغة العام	✍ عبد الصبور شاهين
🕮 الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام	✍ ميشال زكريا ✍ محمد الحناش
🕮 البنيوية في اللسانيات	✍رمضان عبد التواب

📖 المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث فيه	✍ صالح الكشو
📖 مدخل في اللسانيات	✍ محمد فهمي حجازي
📖 مدخل إلى علم اللغة	✍أحمد مختار عمر
📖 علم الدلالة	✍ التهامي الراجي
📖 توطئة لدراسة علم اللغة	✍ مبارك حنون
📖 مدخل للسانيات سوسير	✍ إدريس السغروشني
📖 مدخل للصواتة التوليدية	✍ بسام بركة
📖 علم الأصوات العام	✍ أحمد المتوكل
📖 اللسانيات الوظيفية مدخل نظري	✍ البدراوي زهران
📖 مقدمة في علوم اللغة	✍ عبد العزيز حليلي
📖اللسانيات العامة واللسانيات العربية	✍ المعتمد ابن رشد ومحمد خريص
📖مدارس علم اللغات	
📖 محاضرات في علم اللغة الحديث	✍ أحمد مختار عمر
📖 مبادئ علم اللسانيات الحديث	✍ سامي عياد حنا وشرف الدين الراجحي
📖 مبادئ اللسانيات	✍ محمد قدور

لقد كان إغناء المكتبة العربية مقصدا أساسيا عند المؤلفين في هذا الحقل سواء تعلق ذلك بالمراحل الأولى للتأليف في هذا العلم، أو حتى ما تعلق بالمؤلفات الأخيرة التي تحاول الاستدراك على المؤلفين العرب الأوائل في هذا العلم، وللإستدلال على ذلك نورد هنا قولا الراجي التهامي في مقدمة كتابه الموسوم ب: توطئة لدراسة علم اللغة إذ يقول: " أقدم للقارئ العربي هذا المؤلف الذي يفتح سلسلة من الدراسات اللغوية، وهي سلسلة أقصد من وراءها إلى سد الفراغ الخطير الذي يشتكي منه علم اللغة في عالمنا العربي، وقد حاولت أن أجمع في هذا العدد كل ما من شأنه أن يعرف القارئ باللغة موضوع الدرس"[6].

ويقول مصطفى غلفان: " وليس في نيتنا سد الفراغ المهول الذي تشكوه الثقافة العربية في مجال الكتب التي تعرف باللسانيات، أو الادعاء بأن هذا المؤلف هو أفضل من سابقيه، ولكنه يطمح ما أمكن إلى تجنب ما نراه سلبيا فيها غير مترددين في الأخذ منها، كلما بدا لنا ذلك مفيدا بالنسبة للقارئ العربي، لاسيما وأنه يتوجه إلى فئة محددة من القراء هم الطلبة المبتدؤون في اللسانيات، أو الراغبون في استثمارها في مجالات معرفية أخرى، كالأدب والنقد وغيرها وطلبة علوم التربية وجمهور المثقفين[7].

4. نقائص ومآخذات عامة على الكتابات اللسانية التمهيدية:

وعلى الرغم من المساهمة المعتبرة للسانيات التمهيدية في تقدم البحث اللساني العربي في بعض مناحيه، فإنها لم تسلم في نظر الباحثين من بعض الهفوات التي يلخصها حافظ إسماعيل علوي في النقاط الآتية:

. الارتباك في تحديد مجال البحث اللساني :ويرجع هذا الارتباك والغموض إلى طبيعة المصادر التي تقدمها بعض الكتابات التمهيدية، وهي مصادر عامة بعيدة نسبيا عن اللسانيات بمعناها العلمي الدقيق.

كما يفسر هذا الارتباك بعدم تحديد موضوع علم اللغة تحديدا دقيقا، فالمتتبع لموضوعات الكتابة اللسانية التمهيدية، وتحليلها يلاحظ أنها حصرت مجالات علم اللغة في نطاقه الواسع، أي دراسة اللغة في إطارها العام تاريخيا وحضاريا واجتماعيا ونفسيا ولم تهتم بالمبادئ اللسانية العامة إلا في حالات نادرة.

. غياب تقنيات التحليل اللساني :يشكل الجانب التقني أحد الجوانب الأساسية التي تتوسل بها اللسانيات في فرض منهجية علمية للتحليل، غير أن الأمر في الكتابة اللسانية التمهيدية ليس على هذه الشاكلة حيث يمكن القول أنه من النادر وجود كتابة تعرض التقنية المتبعة في التحليل اللساني، أي أدوات تقنية وطرق إجرائية في التحليل المباشر للغة رغم أن أغلبية الكتابات اللسانية التمهيدية ذات منحى وصفي بالأساس، فإنها لم تعمل على تقديم المنهجية المتبعة في هذا الاتجاه من اتجاهات الكتابات اللسانية الحديثة.

. إلى جنب كل ذلك عدم مواكبة النظريات اللسانية تتميز النظريات اللسانية بالتجدد، وخاصة النماذج المتأخرة منها، كتلك التي عرفها النحو التوليدي، والنحو الوظيفي، غير أن المطلع على الكتابات اللسانية العربية التمهيدية يجد أنها لا تسير على هذه الخطى فهي لا تواكب في مجملها التطورات التي حصلت في البحث اللساني الحديث، وما عرفته النظريات من تغييرات وتطورات جديدة، وتكاد المرحلة التي تتناولها الكتابة التمهيدية تقتصر على المرحلة البنيوية.

. والنقطة الفارقة الكتابات اللسانية التمهيدية تتحدث عن موضوعات علم اللغة بإسهاب إ لا أنها لا تتطرق للكيفية التي يتم بها تناول هذه الموضوعات لسانيا، سواء أ في إطار المنهج الوصفي أم التاريخي أم أي منهج آخر، وهذا ما يضع القارئ أمام تساؤلات عديدة وتربكه، والسبب في ذلك حسب حافظ إسماعيل هو أن تعامل الكتابة اللسانية التمهيدية مع تقنيات التحليل عموما ظل منحصرا في تقديم معلومات تعود إلى بداية هذا القرن في صيغ يغلب عليها الطابع الأدبي.

فهذه الكتابات تكاد تجتمع فيها سمات الإفراط في التبسيط، والجنوح إلى التعميم الشديد، إلى جانب إهمال المصادر العلمية.

5. كتاب مبادئ في اللسانيات لخولة طالب الإبراهيمي:

يعد كتاب " مبادئ في اللسانيات" واحدا من الكتب التي تندرج في إطار ما يعرف باللسانيات التمهيدية كما هو واضح من عنوان الكتاب، ومقدمته التي تقول فيها: " وتنشر اليوم هذه الدروس التي عنونتها (مبادئ في اللسانيات العامة) أقدم فيها حوصلة عن تطور التفكير اللساني البشري منذ ظهور دي سوسير إلى يوم الناس هذا محاولة إطلاع القارئ بأهم القضايا التي تطرحها اللسانيات عند تناولها لظاهرة اللسان بالدراسة والتحليل..."[8].

وتبقى الغاية التعليمية إذاً الهدف الأسمى الذي يستأثر باهتمام كل مؤلف تمهيدي، ومن هذا المنطلق تؤكد مقدمات المؤلفات المندرجة ضمن اللسانيات التمهيدية على هذا الجانب، وتوليه ما يستحق من اهتمام، خصوصا وأن هذه المقدمات هي أول ما يقرأ،

فتكون بمثابة تعاقد بين الكاتب والقارئ؛ تعاقد على الإقبال من لدن القارئ، والتسهيل والانتفاع من لدن الكاتب، فكان من الطبيعي أن تعزف كل الكتابات التمهيدية على هذا الوتر الحساس عند القارئ، وأن تعبر عن ذلك بشكل صريح، كما تظهر هذه النصوص[9].

إلى جانب طريقة ومنهج العرض الذي تقول عنه: " عمدت في عرضي إلى التعريف بأهم المذاهب اللسانية الغربية، ولكن وهذا هو فضل أستاذي علي . تقصد عبد الرحمن حاج صالح[10] . حرصت على الوقوف . كلما كان ذلك ممكنا . عند وجهة نظر المدرسة الخليلية الحديثة في الموضوع..."[11]

6. بعض تمظهرات اللسانيات التمهيدية في الكتاب:

على الرغم من سعة اطلاع، وقدرتها على الكتاب وفق ما تمليه لغة التخصص، إلا أنها حاولت أن تجعل كتابها في متناول الطالب المبتدئ، وهو ما نتلمسه طيلة صفحات الكتاب، وسنذكر فيما يأتي بعض مظاهر الكتابة التمهيدية:

أ. عنوان الكتاب:

وقبل الإقدام على بيان دور عنوان هذا الكتاب في الإحالة على انتماءه إلى اللسانيات التمهيدية، تجدر الإشارة إلى أن العناوين منطلقات ضرورية للقراءة بالنظر إلى الوظائف التي تؤديها ، و التي يحددها جيرار جينيت في أربعة وظائف هي :الإغراء – الإيحاء – الوصف - التعيين[12] ،غير أننا نجد من الباحثين من يذهب أبعد من ذلك ، حيث يتم الربط بين الوظائف التي يؤديها العنوان ووظائف اللغة كما يحددها ياكوبسون ، فيعطي العنوان بذلك وظائف أخرى هي : » الوظيفة المرجعية (المركزة على الموضوع) و الوظيفة الندائية (المركزة على المرسل إليه)، و الوظيفة الشعرية (المركزة على الرسالة)؛ " و قد تتسع هذه الوظائف لدى هنري ميتران Henri Mitterand لتشمل" الوظيفة التعيينية ، و الوظيفة التحريضية (حث فضول المرسل إليه و مناداته) ، و الوظيفة الإيديولوجية " " و هذه جميعها تسور العنوان بسلطة ترمي إلى إخضاع المرسل[13].

استهل عنوان هذا الكتاب بكلمة مبادئ التي جاء معناها في المعجم الوسيط (1/ 42): "(المبدأ): مبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها، كالنواة مبدأ النخل أو يتركب منها

كالحروف مبدأ الكلام، والجمع مبادئ، ومبادئ العلم أو الفن أو الخلق أو الدستور أو القانون قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها[14].

فمن خلال كلام الفيروز آبادي المتقدم نجد أن المبادئ هي أساسيات العلم التي تخضع لها تفريعاته وتفاصيله، وإذا فإن صاحبة الكتاب قد عمدت إلى تقديمه كمقدمة للقارئ المبتدئ الذي لم يصل بعد إلى مرحلة ضبط أسس هذا العلم.

كما أعقبت الكاتبة كلمة " مبادئ" المذكورة في العنوان بحرف الجر " في" فخصص فحدد بذلك مجال هذه المبادئ، بأنها تدخل ضمن علم اللسانيات.

ثم تلت ذلك بتحديد العلم الذي تندرج دراستها ضمنه، وهو علم اللسانيات.

كما نشير إلى أهمية عنصر التشويق أو الحكي الذي اتخذته الكاتبة أسلوبا لها في هذه المقدمة، وقد نجحت في لفت القارئ لأنه يضفي على الدرس اللساني حلاوة أدبية تجعل القارئ يتشوق إلى معرفة المزيد، كما وجدناه مع عبد المالك مرتاض مثلا في كتابه قضايا الشعريات، حيث ورغم اعترافه أن اللغة التي من المفروض أن يستعملها هي اللغة العلمية التي يمكن أن تكون معقدة على بعض القراء، إلا أنه يعلن تفضيله استعمال اللغة الأدبية والاستطراد الأدبي المتواصل.

ب . المضمون العام للكتاب:

يتكون الكتاب من مقدمة ألمحت فيها الكاتبة إلى هدفها من تأليف الكتاب، كما أشارت إلى منهجها في عرض المادة، لتنتقل بعدها إلى الاستفاضة في مباحث الدراسة التي عرضتها على النحو الآتي:

قسمت الكتاب إلى أبواب وتحت كل باب عدة فصول، واستهلت حديثها بتحديد المفاهيم والمصطلحات المهمة في هذا العلم مثل: مفهوم "اللسان"، و"البنية"، و"الدليل اللغوي"، كما تطرقت إلى بعض المفاهيم كقولنا اللسان "أداة التبليغ"، "اللسان يتقطع تقطيعا مزدوجا" مع الإشارة . كلما كانت هناك فرصة . إلى بعض المبادئ اللسانية والتعليق أو التعقيب عليها بما يناسب.

ونلاحظ منذ الوهلة الأولى أن الكاتبة تتجنب تقديم تعريفات مغمورة أو غامضة للمصطلحات فتعطي تعريفا شائعا لعلم اللسان إذ تقول: " علم اللسان هو الدراسة الموضوعية للسان البشري أي دراسة تلك الظاهرة العامة والمشتركة بين بني البشر والجديرة بالاهتمام والدراسة بغض النظر عن كل الاعتبارات الأخرى التي لا تعد من صلب اهتمام اللسانيين"[15].

ثم تشخص الاعتبارات المشار إليها فتقول: " هي التي تختص بجوانب ثانوية للسان بوصفه ظاهرة معقدة يمكن أن تتناول من زوايا عديدة اجتماعية، نفسية، فيزيولوجية، فيزيائية تتكفل بها علوم أخرى مثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم فيزيولوجية الأعضاء، وعلم الصوت الفيزيائي"[16].

كما تشير إلى بعض المبادئ السوسيرية في سياقات مختلفة كمبدأ مجال اللسانيات وهو:" دراسة اللسان منه وإليه" ثم تعقب على ذلك بقولها: " أي من أجله ولذاته، بهدف اكتشاف المميزات العامة المشتركة بظاهرة اللسان البشري من خلال دراسة اللغات الطبيعية المختلفة المتداولة بين بني البشر...، ومبدأ " اللسان نظام"، و " اللسان ظاهرة منطوقة".

وهي في كل ذلك تحاول الاستناد إلى أفكار أستاذها عبد الرحمن حاج صالح في التأصيل للمفاهيم والمصطلحات اللسانية، وهو ما أفادها إلى حد كبير في كتابتها هذه، خاصة إذا عرفنا مدى وعي هذا الأخير بالدرس اللساني حديثه وقديمه.

ومن الأمثلة التي تبين استنادها إلى هذا العلم اللساني الشامخ تعقيبها على قول سوسير أن اللغة نظام من الأدلة المتواضع عليها بقول عبد الرحمن حاج صالح في ذلك: " اللسان في حد ذاته نظام من الأدلة المتواضع عليها فاللسان بهذا الاعتبار ليس مجموعة من الألفاظ يعثر عليها المتكلم في القواميس أو يلتقطها بسمعه من الخطابات ثم يسجلها بسمعه في حافظته، كما أنه ليس أيضا مجموعة من التحديدات الفلسفية للإسم والفعل والحرف، أو القواعد المسهبة الكثير الشواذ، بل هو نظام من العلامات يتواصل بعضها ببعض على

شكل عجيب وتتقابل فيها بناها في المستوى الواحد التقابل الذي لولاه لما كانت هناك دلالة"[17].

والحق أن كلام عبد الرحمن حاج صالح المذكور قد وضح بشكل كبير المبدأ السوسيري المذكور بأن نفى عن اللسان كونه متعلقا بدراسة جانب من جوانب من اللغة كالجانب النحوي، المعجمي، الصرفي... وجعله مختصا بالكليات ذات العلاقات المتشابكة التي لا تنفصل عن بعضها.

أما في الباب الثاني فقد عمدت الكاتبة إلى الخوض في علم الأصوات وعلاقته بالنظام اللغوي، أي ما تعلق بالحروف خصوصا، فطرقت باب علم الأصوات الفيزيائي؛ كتصنيفها للأصوات إلى صفاة فيزيائية محضة، وصفاة فيزيائية نفسية، وذكر ترددتها وسعة اهتزازها وشدتها...

لتنتقل الكاتبة بعد ذلك إلى وصف الجهاز الصوتي للإنسان، مع ذكر مخارج الحروف وصفاتها وإرفاق ذلك برسومات وصور توضيحية.

ثم انتقلت إلى وحدات أكبر كمفهوم الكلمة في اللسانيات الحديثة كما أشارت إلى مدى تفلت مفهوم الكلمة واختلاف معناها وعدم ثباتها والفرق بين الكلمة واللفظة، ثم تحليل مستوى الكلمات عند كل من المدرستين الوظيفية والاستغراقية.

وتدرجت الباحثة إلى مفهوم النحو التركيبي عند مارتيني، ومفهوم الجملة عند تشومسكي...

أما في الباب الثالث فقد حاولت الباحثة مواكبة التطورات الحاصلة في مجال الدراسات اللغوية، فعقدت الباب بعنوان: "التطورات المعاصرة للسانيات، من لسانيات اللسان إلى لسانيات الخطاب والكلام"، تناولت فيه مستجدات اللسانيات وانتقالها من الجملة إلى النص، إلى جانب اهتمام الدراسات المعاصرة بدراسة اللغة في وضع الإستعمال مع ما يعرف بعلم التداول أو التداولية.

6. مآخذات بناءة على كتاب مبادئ في اللسانيات:

أ. عدم الالتزام بما جاء في العنوان:

فكما سبق الذكر مع ما يقرره حافظ إسماعيل علوي من أن جل الدراسات اللغوية العربية لا تلتزم في مؤلفاتها بما تقرره سلفا في عناوينها، لم تلتزم الكاتبة بمضمون العنوان، ذلك بأن المطلع على عنوان الكتاب للوهلة الأولى يفهم بوضوع أن الكتاب يتناول بالدرس المفاهيم والمبادئ الأساسية الأولى في اللسانية، ونخص بالذكر المبادئ السوسيرية، لكن الكاتبة لم تتقيد بذلك وإنما تجاوزته إلى الحديث عن بعض المدارس اللسانية التي تلت مدرسة جنيف.

والحق أن الكاتبة ورغم أنها لم تلتزم بما ورد في عنوان كتابها إلا أن ذلك لا يمكن أن نعده عيبا، وذلك يرجع بالأساس إلى طريقة عرضها لتلك المواضيع حيث راعت في كل ذلك إعطاء تمهيد تاريخي قصير بأهم العوامل والمؤثرات الفكرية والفلسفية التي أدت إلى ظهور كل مدرسة من المدارس اللسانية، مع ذكر بعض المبادئ باختصار.

ب . خلط مبادئ بعض المدارس بمبادئ مدارس أخرى:

فرغم أن الكاتبة ذكرت تلك المبادئ بأسلوب رائق معتمد في غالبه على الايجاز غير المخل، والاطناب المتحتم غير الممل إلا أنها لم تلتزم منهجيا بما قررته في مقدمة كتابها من أنها ستلتزم بدراسة حوصلة التفكير اللساني منذ ظهور فرديناند دي سوسير إلى يوم الناس هذا، وربما يكون في ذلك بعض التلبيس على القارئ المبتدئ الذي لا يعرف أعلام ورواد المدارس اللسانية والمبادئ التي أرسوها.

. **خاتمة:** ختاما نقول: يتشكل موضوع الكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطية مما تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة.

حاولنا في هذه الورقات البحثية أن نشير إلى عتبات كتابات اللسانيات التمهيدية في كتاب خولة طالب الإبراهيمي الذي يشهد لها فيه أنها تجاوزت الطروحات الأولى التي كان عليها الدرس اللساني في المؤلفات المندرجة ضمن هذا النمط والتي خصها حافظ إسماعيل علوي بالإنتقاد لأنها لم تول أي اهتمام يذكر في محاولة تحقيق الإنسجام بين عنوان

الكتاب وخطاب المقدمة ومادة التي يتناولها الكتاب، بينما نجد أن الكاتبة وإن لم تصب كبد الهدف المقصود إلا أنها حاولت أن تقدم المادة بشكل واضح بعيد عن التكلف والغموض، كما يحسب لها في هذا الكتاب اجتهادها في تقديم أمثلة عربية في السياقات التي تقتضي التمثيل.

كما نشير إلى نقطة مهمة أشرنا إلى جزء منها في سطور متقدمة، وهي ضرورة العناية بالطبعات المعادة، فعلى الرغم من إعادة طبع هذا الكتاب إلا أنه لم يتخلص ما يشوبه من الأخطاء الإملائية تحديدا، ثم بعد ذلك أين الزيادات على هذا الكتاب الذي يستحق أن يكون أفضل مما هو عليه، لأنه وببساطة يمكن أن تمثل فيه روح التعليمية اللسانية، خاصة مع تعقيبات عبد الرحمن حاج صالح النافعة، واجتهادات الكاتبة في الشرح سواء تعلق ذلك بما يذكر في المتن أم ما يرد في الحواشي.

كما تجدر الإشارة إلى ضرورة العناية بما دأب عليه أهل التعليم عموما من ضرورة مراعات إمكانات الطالب المبتدئ من خلال التعريف باللسانيات تعريفا واضحا يمكن للمتلقي من خلاله أن يتصور العلم بشكله الكلي، ثم بعد ذلك الإتيان على أخضر اللسانيات ويابسها من خلال تحديد موضوعها، والتأريخ لنشأتها والعوامل الموصلة إلى ذلك، مع مواكبة التطورات الحاصلة عبر العالم، والاستفادة من الجهود العربية في الضفة المقابلة، حتى تتحقق صفة التراكمية لتصل بالفكر إلى مرحلة النضج.

كما يمكن إدخال العنصر الجماعي الذي يراعى فيه حضور قامات معرفية في التخصص اللساني، وآخرين في علم النفس، وعلوم التربية لتبلغ الكتابة اللسانية ما يراد لها أن تبلغ، ويتمكن القارئ المبتدئ من تجاوز المراحل التعريفية الأولى بهذا العلم.

5. هوامش البحث:

[1] . ينظر :فاطمة الهاشمي بكوش :نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ايتراك للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2004م، ص.22

[2] . حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2009م، ص99

[3] . ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية. جامعة الحسن الثاني عين الشق. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. سلسلة رسائل، ص92.

[4] . البدراوي زهران: مقدمة في علوم اللغة، دار المعارف، ط1، 1990، ص5.

[5] . محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ص6.

[6] . الراجي التهامي: توطئة لدراسة علم اللغة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط2، 1986م، ص5.

[7] . مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة تاريخها طبيعتها موضوعها مفاهيمها، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2010م، ص6.

[8] . خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2006م، ص4.

[9] . عبد السلام المسدي: اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، 1984، ص6.

[10] . ولد عبد الرحمن الحاج صالح بمدينة وهران في 8 جو يليه 1927 م، أتقن اللغة العربية، وانخرط منذ فترة جد مبكرة في النضال السياسي، سافر إلى مصر وهناك كان اتصاله بعلم العربية فكان يتردد على جامع الأزهر الشريف، ويحضر بعض دروس اللغة العربية، أين اكتشف ذاته من جديد، وتعرف على تراث لغته العربية، فصرف اهتمامه إلى الدراسات اللغوية المعاصرة، وهناك اكتشف أهمية التراث العلمي اللغوي العربي من خلال ما اطلع عليه من كتب لغوية تراثية، واتضح له الفرق الكبير بين وجهات النظر الخاصة بالنحاة العرب الأقدمين، وما يقوله المتأخرون منهم، وكان هذا دافعًا مهمًّا في حياته العلمية، ويبدو أن انخراطه في حزب الشعب الجزائري وهو في عمر 15 سنة، ثم التحاقه بثورة أول نوفمبر المباركة كان من بين الأسباب التي ربطته إلى تراثه العربي الإسلامي الذي كان منهلا استقى منه معارفه، وموردا غذى رصيده اللغوي الذي طوره بعد ذلك في نظريته اللسانية ، ومن أعظم إنجازاته مشروع الأنترنت العربي وقد عينه الرئيس الجزائري السابق عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية سنة 2000 م، كما كان عضوا بكل المجاميع العربية العريقة :دمشق وعمان، وبغداد. ينظر: خيرة بلجيلالي ، إسهامات عبد الرحمن حاج صالح في ترقية اللغة العربية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 17، 2017م، ص76.

[11] . المرجع السابق نفسه: ص 4. 5.

[12] . جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة، ، مجلة عالم الفكر، الكويت مج 25، عدد 3، ماي 1987، ص 108 ص106.

[13] . محمد بنيس: التقليدية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. ط1 .1989: 107

[14] . ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، مصر، ج1، ص88.

[15] . خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص9.

[16] . خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص9.

[17] . خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص18.